دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية

وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة

وموقف المخصوم منها

تأليف
صلاح الدين مقبول أحمد

طبعة مزيدة ومنقحة

الجزء الثاني

دار ابن الأثير
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
مجمع البحوث العلمية الإسلامية - نيودلهي - الهند
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الثانية
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
مزيدة ومنقحة

دار ابن الأثير
الكويت: الجهراء - قطعة ١ - شارع عمرو بن كلثوم
قرب مدرسة المعتصم - ص.ب: ٩٠٧ - هاتف وفاكس: ٤٥٧١٢١٢

الباب الرابع

الاتجاهات المناهضة

لدعوة شيخ الإسلام ابن تيميّة

شبه ردّ على

«التوفيق الرباني» و«الرسائل السبكية»

و«الكلابية» و «النصيحة الذهبية»

الباب الرابع

الاتجاهات المناهضة لدعوة شيخ الإسلام

لقد أحدثت دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ انقلاباً فكرياً هائلاً في عصره المليء بالاتجاهات المنحرفة. وأدّت كتاباته القيّمة وآراؤه الصائبة دوراً فعالاً في إزالة الركام الهائل من المغالطات والتهويلات، والبدع والانحرافات في أمور العقائد والأحكام على السواء. وأثمرت جهوده في الإصلاح والتجديد، والدعوة والإرشاد، ورزقها الله تعالى قبولاً حسناً بين المسلمين. فشكروها لخلّوها من رواسب الجمود والركود، والتعصب والتحيّز، والأنانية وحب الذات، ولاحتوائها على براعة الاستدلال المباشر بالكتاب والسنّة على منهج السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم.

«فدوى صوته بآرائه في مجتمعه، فتقبّلتْها عقول واستساغتها، وضاقت عنها أخرى وردّتْها. وانبرى لمنازلته المخالفون، وشدّ أزره الموافقون. وهو في الجمعين يصول ويجول، ويجادل ويناضل، والعامة من وراء الفريقين قد سيطر عليهم الإعجاب بشخصه وبيانه، وقوة جنانه وحدة لسانه، واعترتْهم الدهشة لما يجيء به من آراء يجدد بها أمر هذه الأمة، ويعيد إليها دينها غضاً قشيباً كما ابتدأ»[1].

---

(١) ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه الفقهية لمحمد أبو زهرة (٣ ــ ٤) دار الفكر العربي.

وقال الإمام الشوكاني:

«وجعل الله له من ارتفاع الصيت، وبعد الشهرة ما لم يكن لأحد من أهل عصره حتى اختلف من جاء بعد عصره في شأنه، واشتغلوا بأمره، فعاداه قوم وخالفه آخرون. والكل معترفون بقدره، معظمون له، خاضعون لعلومه. واشتهر هذا بينهم غاية الاشتهار، حتى ذكره المترجمون لهم في تراجمهم، فيقولون: «وكان من المائلين إلى ابن تيمية، أو المائلين عنه»[1].

وقال أيضاً:

«وهذه قاعدة مطّردة في كل عالم متبحّر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنّة. فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة. ثم يكون أمره الأعلى، وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظّ لا يكون لغيره.

وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتدّ به. وطارت مصنّفاته واشتهرت مقالاته»[2].

دعوة شيخ الإسلام في مواجهة الانحراف:

«جرت الطبيعة البشرية على أن كل من علا نجمه، واشتهر فضله، كثر حسّاده وكثر الناقمون عليه، وما أكثر حساد ابن تيمية! وما أكثر الناقمين

(١) «طلب العلم وطبقات المتعلمين» للشوكاني (ص ١٤) دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني (١/ ٦٥) مطبعة السعادة ١٣٤٨هـ.

عليه! فإن لسان الرجل وقلمه لم يجعلا له من صديق، لأنه لم يدار أحداً، ولم يعرف النفاق إلى قلبه سبيلاً».

«ومن هنا فقد ناصب العداء لكل ذي بدعة على اختلاف مشاربها، فتعرّض بالنقد والتمحيص لمذاهب الفلاسفة، والباطنية، والشيعة، والصوفية، والقرامطة، والإسماعيلية. وكشف أستار هؤلاء وأولئك. وانتصر للحق ولدينه منهم جميعاً»[1].

إن الانتقادات الهادفة التي وجهها شيخ الإسلام إلى مواطن الضعف في مجتمعه المعاصر، أسهمت في إثارة المذاهب الفقهية، وإثارة الفرق المنحرفة على السواء.

فحيكت ضده المؤامرات، ورمي بما ليس فيه. ولم يتأخر قضاة الدولة وفقهاؤها من استغلال مناصبهم في الوشاية به إلى الحكام، ثم زجّهم إياه في السجون والمعتقلات، لأنهم ما كانوا يستطيعون مخالفة شيخ الإسلام بأقوالهم وآرائهم في ضوء الأدلة الواضحة من الكتاب والسنّة:

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولم تجد للئامِ الناسِ حُسّادا

الالتزام بأدلة الكتاب والسنّة:

استقلّ شيخ الإسلام في تفكيره بالالتزام بأي مذهب معين، واتّبع منهج السلف الصالح في العقائد والأحكام المبنية على أدلة الكتاب والسنّة.

وناقش شيخ الإسلام ظاهرة التقليد مناقشة علمية فقال:

«لا يخلو أمر الداعي من أمرين:

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية (١/ ٣٤، ٣٥ ـ ٣٦ ـ مقدمة الجامع محمد الجليند) دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ.

الأول: أن يكون مجتهداً أو مقلّداً.

فالمجتهد ينظر في تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة، ثم يرجح ما ينبغي ترجيحه.

والثاني: المقلد، فيقلّد السلف. إذ القرون المتقدمة أفضل مما بعدها»[1].

وقال أيضاً:

«واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوماً في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ. ولهذا قال غير واحد من الأئمة:

«كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ» وهؤلاء الأئمة الأربعة ــ رضي الله عنهم ــ قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه وذلك هو الواجب عليهم...»[2].

الاتهامات بين الحقيقة والرواية:

انطلاقاً من اتباع الدليل، قد يخالف شيخ الإسلام ما هو مألوف في بعض المذاهب الفقهية، ويدفعه اجتهاده إلى اختيار ما هو أوفق للكتاب والسنّة. ويرد على بعض الاعتقادات السائدة في أوساط المسلمين، التي هي خلاف الدليل.

ومن هنا نرى أن الاتهامات التي وجهت إلى شيخ الإسلام تختلف باختلاف مفتريها. وإليكم الآن بيان بعض أهم الأمور التي استغلها أعداؤه للنيل من كرامته، ولأجلها زجّ في السجون والمعتقلات مرة تلو الأخرى:

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٠/٩).

(٢) المصدر المذكور (٢٠/ ٢١٠ ــ ٢١١).

قضية شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة